لجنة النشر للجامعيين
١٨

الدعوة إلى الإسلام

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ يَأَهْلَ الكِتَابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ » .

(قرآن کریم)

١

دخلَ النّاسُ فى دينِ اللهِ بعدَ صُلحِ الحُدَيْبِيَة ؛ ولما كانَ اللهُ قد بعثَ محمَّدا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم رسولًا إلَى النّاس كافَّة ، رأى الرسُولُ أن يَبعثَ رُسلَه إلى ملوكِ البِلادِ المُجاورة ، يدعوهُم إلى الإسلام ، وفى ذاتِ يوم ، كتب رسائلَ إلى الملوك ، فقال له أصحابُه :

— يا رسولَ الله ، إنهم لا يقرءون كتابًا إلا إذا كان مختوما .

فصنع رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خاتَما ، نُقِشَ فيه : « محمَّدٌ رسولُ الله » ، وخُتمتِ الرَّسائلُ بهذا الخاتَم ، ولم يبق إلا الرِّجالُ الَّذين يذهبونَ بها إلى ملوكِ العالَم . كان رسولُ الله يعرِفُ طبيعةَ النّاس ، فإنه يعلمُ أن الّذين سيُرسِلهم إلى مكانٍ قريبٍ يَرْضَوْن ،

وأمّا الّذين سيُرسلهم إلى مكانٍ بعيدٍ فإنهم يكرهُونَ ذلك ويرفُضُون ، فجمع أصحابَه ، وقال لهم :

— أيُّها النّاس ، إن الله بعثنى رحمةً وكافّة (أى لجميع الناس) ، فأدّوا عنّى رحمكُم الله ، ولا تختلفوا علىّ كما اختلفَ الحواريّونَ على عيسى بنِ مريمَ عليه السلام .

فقال أصحابه :

— وكيف اختلفَ الحواريّونَ على عيسى عليه السلامُ يا رسولَ الله ؟

فقال رسولُ الله :

— دعاهم لمثلِ ما دعوتُكم له ، فأمّا من بعثَه مَبعثاً قريبا فرضِىَ وسلّم ، وأمّا من بَعَثَه مَبعثاً بعيدا ، فكرِه وأبى ، فشكا ذلك عيسى عليه السلامُ إلى ربّه عزّ وجلّ ، فأصبحُوا وكلُّ رجلٍ منهم يتكلّمُ بلغةِ القومِ الذى وُجّه إليه .

ولم يختلفْ صحابةُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم عليه ، كما اختلف الحواريّونَ على عيسى عليه السلام ، بل قَبِلوا أن يذهبوا إلى حيثُ يُرسلُهمْ رسولُ الله .

٢

أرسلَ محمَّد صلّى الله عليه وسلّم دِحْيَةَ الكَلْبيَّ إلى قيصرَ الرّوم ، بكتابٍ يدعوه فيه إلى الإسلام ، فذهب دِحْيَةَ إلى الشّام ، واتّجه إلى قصرِ الملك ، وطلب مقابلَتَه ، فلما أذِن له بالدُّخول ، قال رجالُ القصرِ لدحية :

— إذا رأيتَ الملكَ فاسجدْ له ، ثم لا ترفعْ رأسَك أبدا حتى يأذنَ لك .

فقال دِحْيَة :

— لا أفعلُ هذا أبدا ، ولا أسجدُ لغيرِ الله .

قالوا له :

— إذنْ لا يأخذَ كتابَك .

ودخل دِحْيَة على الملكِ مرفوعَ الرّأس ، لم يسجدْ له ، وقدّم له كتابَ محمد ، فلما رآه قيصرُ لا يسجدُ له عَجِب ، وأخذَ منه الكتاب ، ودعا التَّرْجُمانَ ، فقرأه له ، فإذا محمّد صلّى الله عليه وسلّم يدعوه إلى الإسلام ، فأراد أن يعرف مَنْ مُحمّد ؟ وما صفتُه ؟ فقال لمن عندَه :

— انظُروا لنا مِنْ قومه أحدًا نسألُه عنه .

فراحُوا يبحثون فى أسواقِ الشّـــام ، فوجدوا أبا سفيانَ يتاجرُ فى أسواقِ غَزَّةَ ، مع رجالٍ من قريش ، فأخذوه ، وذهبوا به وبمن معه إلى قصرِ الملك ، فى بيتِ المقدس .

دخل أبو سفيانَ ورجالٌ من قريشٍ على الملك ، فإذا به جالسٌ وعليه التاج ، وعظماء الرّومِ حولَه ، فقال لتَرْجمانه :

— سَلْهم أيُّهم أقربُ نسبا إلى هذا الرجلِ الّذى يزعم أنه نبىّ .

فقال أبو سفيان :

— أنا أقربُهم نسبًا إليه .

فقال له قيصر :

— كيف نسبُ هذا الرَّجلِ فيكم ؟

فقال له أبو سفيان :

— هو منا ذو نسب .

— هل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قبلَه ؟

— لا .

— هل كنتم تتّهمونَه بالكَذِب على الناس ، قبل أن يقولَ ما قال ؟

— لا .

— كيفَ عَقْلُه ورأيُه ؟

قال أبو سفيان :

— لم نَعب عليه عقلاً ولا رأياً قطّ .

— فأشرافُ النّاس يتّبعونَه أم ضُعَفاؤهم ؟

— بل ضُعَفاؤهم .

— فهل يَزيدون أو ينقُصُون ؟

— بل يَزيدون .

— فهل يغدِرُ إذا عاهَد .

— لا .

— فهل قاتلتموه ؟

— نعم .

— فكيف حربُكم وحربُه ؟

— دُوَلٌ وسِجال ، ننتصرُ عليه مرة ، وينتصرُ علينا مرة .

— فما يأمرُكم به ؟

— يأمرُنا أن نعبدَ اللهَ وحْدَه ، ولا نشرِكَ به شيئا ، وينهانا عما كان يعبُد آباؤنا ، ويأمرُنا بالصَّلاةِ والصَّدقَة ، ويأمرُنا بالوفاءِ بالعَهد ، وأداء الأمانة .

لم يكذِبْ أبو سفيان ، على الرَّغمِ من أنه كان يَكرهُ محمَّدا صلَّى الله عليه وسلَّم ، لأنَّ ناساً من قريشٍ كانوا واقفين ، وخَشِيَ أن يُعرفَ عنه أنه كذّاب .

وقال له قيصر :

— إنه نبيّ ، وكنتُ أعلم أنه خارج ، ولكن لم أظنَّ أنه فيكم ، ولو كنتُ عندَه لغسلتُ عن قدميه .

تخرج أبو سفيان من عندِه ، وهو يَعْجَبُ من أمرِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلم ، الّذى ارتفع شأنُه .

٣

وكتب رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، إلى كِسْرَى ملكِ فارس ، كتابا جاء فيه :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

من محمَّدٍ رسولِ الله ، إلى كِسرى عظيمِ فارس .

سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى ، وآمنَ باللهِ ورسولِه ، وشهِد أن لا إله إلّا اللهُ وَحْدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . أدعوكَ بدِعايةِ الله ، فإنى أنا رسولُ اللهِ إلى النّاس كافَّة ، لِأُنذرَ من كان حيًّا ، ويَحِقُّ القولُ على الكافرين . أسْلِمْ تسلَمَ ، فإن أبيتَ فعليكَ إثمُ المجوس (أى الّذين هم أتباعك) .

وأعطَى رسولُ الله الكتابَ عبدَ اللهِ بن حُذافة ، وأمرَه أن يذهبَ به إلى كِسْرى ، فسافر عبدُ الله ، حتى إذا أتى فارسَ ذهب إلى قصرِ الملك ، والتمسَ مقابلتَه ، فلما أُذِن له دخل ، وقدَّم كتابَ رسولِ الله إلى الملك .

قرأ كِسرَى الرسالة ، فلما وجدَه يبدأ : « من محمدٍ رسولِ الله إلى كِسرى عظيمِ الفُرْس » غَضِبَ وثار ، لأنَّ

محمّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بدأ الكتاب بنفسِه ، ومزَّق الكتاب ، فخرج عبدُ الله بن حُذافةَ من عِنده ، وسافرَ إلى مكةَ .

وقابل عبدُ الله رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وأخبره أنَّ كِسرَى مزَّق رسالتَه .

فقال رسولُ الله :

— مزَّق اللهُ مُلكَه .

وصَمَت رسولُ الله قليلا ، ثم قال :

— لتَفتَحَنَّ عِصابةٌ من المسلمينَ كنوزَ كِسرَى التى فى القصرِ الأبيض .

وصَدَق رسولُ الله ، ففى عهدِ عمَر بنِ الخطّاب ، انتصرَ المسلمونَ على الفُرس ، وفتح سعدُ بنُ أبى وقّاص مَدائنَ فارس ، واستولَى على كنوزِ كِسْرى ، فى القصرِ الأبيض .

٤

وأرسَلَ رسولُ الله إلى النجاشيِّ كتابا ، فخرج به عمْرو بنُ أميَّة ، وكان المسلمونَ الّذين هاجروا إلى الحبشةِ عندَه ، يُكرِمُهم ويَحْضُرُونَ مجلسَه ، فلما جاء عمْرو ابن أميةَ بكتابِ رسولِ الله ، أخذه النجاشيُّ وقبَّلَه ، ووضعه على رأسِه وعينيه ، ونزل عن سريرِ مُلْكِه تواضعا ، ثم أسلم ، وشهِد أن لا إلٰهَ إلاّ الله ، وأنَّ محمدًا رسولُ الله .

وكتب إلى رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم :

« إلى محمّدٍ رسولِ اللهِ ، من النَجاشِيِّ أَصْحَمَة .

السّلامُ عليك يا نبيَّ الله منَ الله ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، الّذي لا إلهَ إلاّ هو ، الّذى هدانى للإسلام ، أما بعد ، فقد بلغنى كتابُك يا رسولَ الله ، وقد قرَّبْنا ابنَ عمِّك وأصحابَه (يعنى جعفرَ بنَ أبى طالب ومن معه من

المسلمين) فأشهدُ أنَّك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم صادقاً مُصَدَّقا ، وقد بايعتُك ، وبايعتُ ابنَ عمِّك ، وأسلمتُ على يدِه لله ربِّ العالمين .

٥

وأرسلَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى مصرَ حاطبَ بن أبى بلتَعة ، ليُسلِّم إلى المقوقِسِ عظيمِ القِبْط ، الكتابَ الذى يدعوه فيه إلى الإسلام ، فلما أخذ حاطبٌ الكتاب ، سار إلى منزِله ، وودَّع أهلَه ، وركِب جَمله ، وسافر فى الصحْراء ، حتى إذا بلغَ مصر ، ذهب إلى الإسكندَريَّة ، فقيل له :

— إنه فى مجلسٍ مُشْرِفٍ على البحر .

فركِب حاطبٌ سفينة ، وحاذَى مَجْلِسَ الْمُقَوْقَس ، وأشار بالكتابِ إليه ، فلما رآهُ المقوقِسُ أمر بإحضارِهِ بينَ يديه . فدخل حاطبٌ عليه ، وأعطاه الكتاب ،

فقرأ فيه : « بِسمِ الله الرحمنِ الرَّحيم . من محمَّدِ بنِ عبدِ الله إلى المقوقِسِ عظيمِ القِبْط ، سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى أما بعد ، فإنى أدعوكَ بدِعايةِ الإسلام : أسلِمْ تسلَمْ يُؤْتكَ اللهُ أجرَكَ مرَّتين (أجْرًا لأنَّكَ صدَّقتَ عيسى عليه السلام ، وأجرًا لأنَّك صدَّقتَ محمَّدًا صلى الله عليه وسلم) . فإن تولَّيتَ فإنما عليك إثمُ القِبط .

« ويأهلَ الكتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ، ألاَّ نعبدَ إلاّ الله ، ولا نُشركَ به شيئا ، ولا يتَّخِذَ بعضُنا بعضًا أربابًا من دونِ الله ، فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنَا مسلمون » .

فقال المقوقِس :

— ما منَعه إن كان نبيًا أن يدعوَ على من خالفَه أن يُسَلَّطَ عليهم ؟

فقال له حاطب :

— ألستَ تشهدُ أنَّ عيسى بنَ مريمَ رسولُ الله ، فما له حيثُ أخذه قومُه ، فأرادوا أن يقتُلوه ألّا يكونَ دعا عليهم أن يُهلكَهم اللهُ تعالى ، حتى رفَعه اللهُ إليه ؟

قال له المقوقس :

— أحسنتَ ! أنت حكيمٌ جاء من عندِ حكيم !

قال حاطب :

— إن هذا النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم دعا النّاس ، فكان أشدُّهم عليه قريش ، وأعداهم له يَهُود ، وأقربُهم منه النَّصارى ، ولعمرى ما بِشارةُ موسى بعيسى عليهما الصّلاةُ والسَّلام ، إلا كبشارةِ عيسى بمحمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن ، إلا كدعائك أهلَ التَّوراةِ إلى الإنجيل .

وأكرم المقوقِس حاطبا ، وعند عودتِه بعث إلى رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم بجاريتين : ماريَةَ القبطية

وسِيرِين ، وبثيابٍ كثيرة ، وهدايا عظيمة .

وعاد الرُّسلُ إلى محمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ، وبعد سنواتٍ قليلة دخلتِ فارسُ والشَّام ومصرُ فى الإسلام ، وهى البلادُ التى أوفَد إليها رُسُلَه ، يدعونَ ملوكَها إلى دينِ الله .

القصص الديني :

الحلقة الثانية

قصص السيرة

١ — هاشم بن عبد مناف
٢ — عبد المطلب جد النبي
٣ — عبد الله وآمنة .
٤ — مولد الرسول
٥ — حليمة السعدية
٦ — اليتيم
٧ — خديجة بنت خويلد
٨ — الوحى
٩ — المسلمون الأوائل
١٠ — الاضطهاد
١١ — الهجرة إلى الحبشة
١٢ — أيام الشدة
١٣ — الهجرة
١٤ — غزوة بدر .
١٥ — غزوة أحد .
١٦ — الخندق
١٧ — صلح الحديبية
١٨ — الدعوة إلى الإسلام
١٩ — فتح مكة
٢٠ — غزوة حنين
٢١ — غزوة تبوك
٢٢ — حجة الوداع
٢٣ — النبي الصالح
٢٤ — وفاة الرسول

الغلاف للأستاذ عزت بالإسكندرية

دار مصر للطباعة

ثمن القصة ٣٥ مليما